

اللافت فعلاً أنّ المصطلحات المذهبية أصبحت جزءاً من الرطانة اليومية لبعض المثقفين العرب، وأن هناك من يعمل على التنظير من موقع متخيل جديد هو التسنن كهوية هي بالضرورة مضادة ومعادية للهوية العربية ولكل ما هو عربي. أصبح بعض المثقفين العرب يتبنون منطقاً شبيهاً بالمنطق العنصري الصهيوني الذي يعتمد الديموغرافيا والعدد، لا الاجتماع والسياسة والاقتصاد مثلاً كما قد يفعل من لديه عقل. وكان هناك كتلة سنية متجانسة اجتماعياً وسياسياً وحتى فقهياً وهي في حالة صراع تناحري مع كتل مذهبية أخرى متجانسة هي أيضاً في كل شيء، أو كان أعضاء الطوائف والمذاهب هم ماشية وأغنام لا عقل لهم ولا إرادة. كيف يمكن لمثقف أن يعتقد أن بإمكانه أن ينطق باسم كتلة منقسمة بحدّة اجتماعياً، سياسياً، اقتصادياً وثقافياً، وحتى فقهياً، وأيضاً أن يعتبرها أساساً لتخيل نظام سياسي وبناء دولة حديثة؟ كيف ينتهي مثقف يساري (سابق) إلى تبني منطق ورطانة العرعور المتخلف ويتحدث عن غالبية سنية ويُنظر لغالبية مذهبية على أنها غالبية سياسية؟ هل يعني هذا أن مفتي آل سعود هو بالضرورة مفكر وفيلسوف سياسي كذلك؟

#### متقنون خالدون

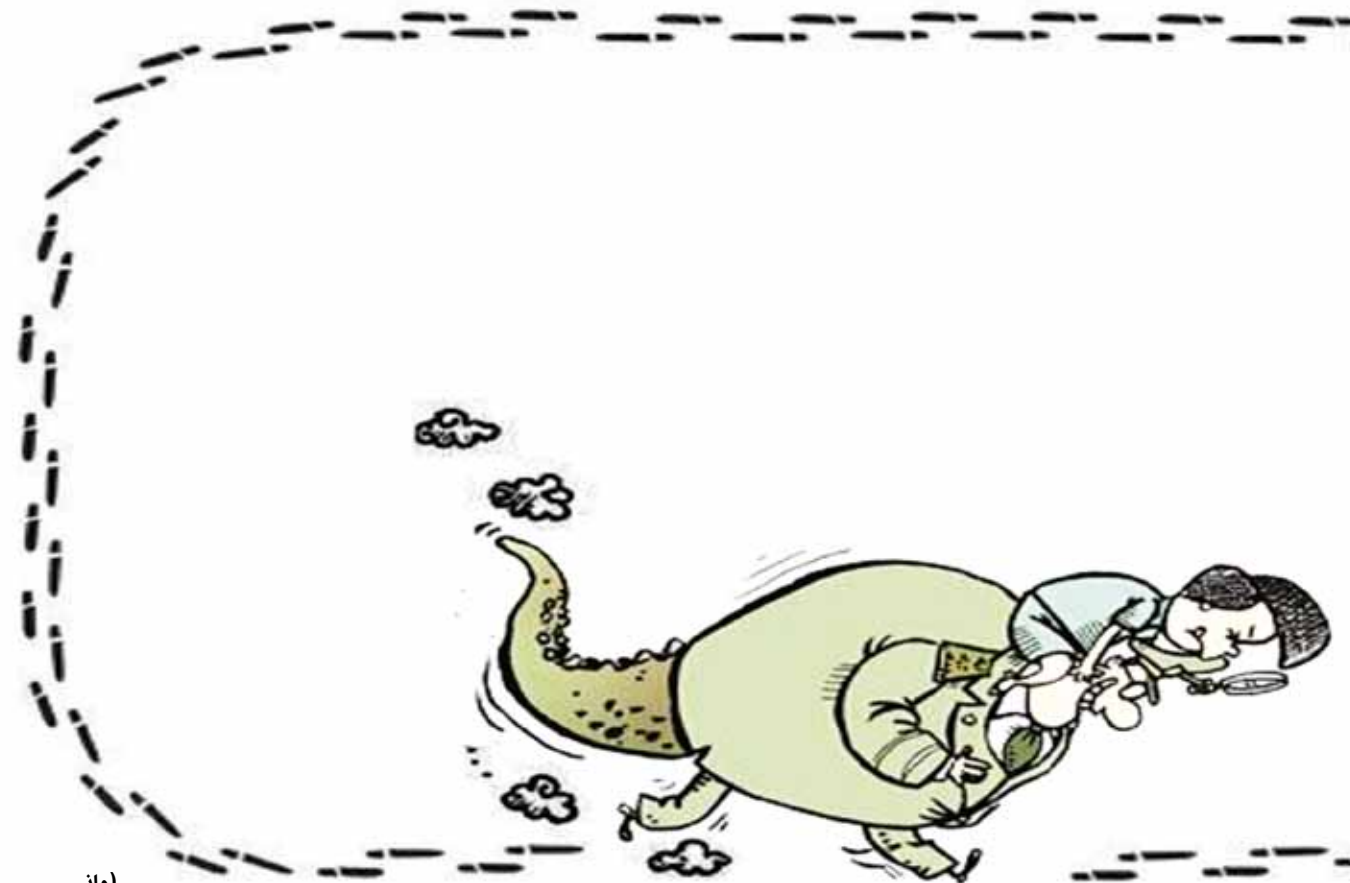
في مقبرة الأخ لاشيز في باريس، سيجد الزائر قبر الشاعر الفرنسي الفذ أوجين بوتيه (1816 - 1887) صاحب نشيد الأُممية العظيم، وفوق الضريح أيضاً سيجد الزائر كتاباً حجرياً ضخماً ومفتوحاً على صفحتين نقش عليهما النوتات الموسيقية للنشيد الخالد على خلفية كلمة «الأُممية». بوتيه، العامل والكوموني والمثقف والشاعر الفذ، كما يبدو سيعيش إلى الأبد. يكفي أن نشيد الأُممية الخالد يغنى بكل لغات الأرض، ويكفي أن زواراً من كل بقاع الأرض يزورون ضريح الشاعر كل يوم. لن نقرأ كتاباً يوماً ما يلعن بوتيه كما سنقرأ عن بعض المثقفين العرب الذين ساندوا العدوان على بلادهم.

وفي مكان آخر غير بعيد كثيراً عن باريس، وفي أوج حرب التحرير الشعبية الجزائرية، كان نشيد الأُممية بلهم الناثر الأُممي فرانز فانون فيختار مطلع النشيد الأُممي عنواناً لكتابه العبقري «معدبو الأرض». وفانون، المثقف الذي فهم دوره جيداً، قضى عمره القصير (سنة وثلاثين عاماً) ثائراً على الاستعمار، ولهذا سيظل خالد أيضاً. لا داعي للتعريف بفانون أو الحديث عنه، فهو أشهر من أن يعرف، لكن يكفي السطور التالية من تصدير «معدبو الأرض»: «ذات يوم من أيام ديسمبر 1953، التحق طبيب مختص جديد بمنصبه في مستشفى الأمراض العقلية في البلدية (جوان فيل)، عمره 28 سنة، وهو من أصل مارتينيكي، اسمه فرانز فانون. في الثاني عشر من ديسمبر 1961 أدت مفرزة من جيش التحرير الوطني فوق التراب الجزائري المحرر (قرب الحدود التونسية) المراسم الشرفية لدفن مناضل من مناضلي الكفاح التحرري الجزائري، وهو فرانز فانون».

#### في معاني بعض ما ورد في هذه المحاولة

المقماق: من يتحدث من بطنه، لا من عقله، كما يفعل بعض مرضي العرائس.  
- الأنوي: من الأنا، والأنويون هم من يعتبرون ويجدون في «أنواتهم» نقطة انطلاقهم الأولى، وهي تختلف قليلاً عن الأناني، والأنويون هي الترجمة الأدق للكلمة الفرنسية (égoïstes)  
- الأصنح: هو المخلوق الذي أصابته لحة برد أدت إلى عجز العضو المصاب من الجسد (والبرد ربح تأتي من الجزر البريطانية في كل الفصول، كما يقول غسان كنفاني). وإذا لجأنا إلى تقليد معروف في البلاغة، فإطلاقنا اسم الجزء على الكل، يمكن أن نطلق هذه الصفة على من أصاب العجز عقله وضميره أيضاً. جاء في «بحث أول في الطب السياسي» (غسان كنفاني، فارس فارس، ص: 239 - 240)، أن العلاج هو «أن يطمر المصنح نفسه تحت الأغطية حتى يسيل عرقه، ويمكن أن يحدث ذلك عن طريق الخجل، أما إذا كان المصاب لا يخجل فحالته ميؤوس منها». أما عندنا في الخليل، نحن الموصوفين بالعناد في الحق، فنصّر حتى على التعامل مع الحالات الميؤوس منها وعلاجها، ولهذا نستخدم عادة الحذاء (أجلّك الله)، ويضرب به الأصنح وقليل الحياء وينصح الكبار والمجربون من الخالية، للفعالية والضمان الشفاء، بأن تكون الضربة بالحذاء على الوجه وعلى غفلة.

\* كاتب عربي



(ماني)  
فرنسيسكو -  
الفيليبين

## IN SEARCH OF TRAITORS

الحرب - وعجمي هذا، كما يبدو مثل هاسانواند، ينام ويحلم بأنه يستيقظ رجلاً أبيض مثل معلمه وملهمه العنصري الصهيوني الفظ برنارد لويس، فهو لا يفوت مناسبة إلا ويذكر تأثير ذلك العنصري البغض عليه. لكن الوقاحة تصل إلى حدها الأقصى حين تعتمد وسائل الإعلام النفطية إلى وضع واجهة فلسطينية بصورة أكاديمية أصنح أصاب العجز ضميره وعقله لتبرير عدوان ستكون فلسطين ذاتها جزءاً من الثمن الذي سيدفعه العرب لتدمير سوريا. تسع أكاديمياً فلسطينياً يتحدث عن القيم الأميركية العظيمة وأن امتحانها فقط سيكون بحرق دمشق، فتتعجب: هل هذا الطاووس من الخليل أم من كريات أربع؟ هل تعرف حقاً أنها البغاء ما هو التاريخ الأميركي وما هي القيم الأميركية، التي ترطن بعظمتها، أم أنّ من لفتك هذه السخافات نسي أن يذكر لك شيئاً عن الإبادات الجسدية والثقافية التي ارتكها المستوطنون المتعبرنون بسكان أميركا الكنعانيين؟ ألم يفكر هذا النكرة للحظة بأن هؤلاء الأوغاد يريدون وجهاً فلسطينياً يبرر تدمير دمشق وأن فلسطين ستكون الضحية الأولى لاغتيال دمشق؟

#### المثقف الطائفي

حين ميّز أنطونيو غرامشي بين المثقف العضوي والتقليدي، لم يخطر على باله مطلقاً أن عبقرياً من موظفي آل سعود سيخرج علينا بعد ثمانين عاماً بمصطلح «المثقفين السنة»، هذا ما يقوله لنا عبد الرحمن الراشد في واحد من أئفه مقالاته «(نصر الله: من أنتم؟)» (الشرق الأوسط)، 16 حزيران). للحقيقة، إن لم تكن سطحياً وإن كان لديك حتى قليل جداً من الفطنة ستجد الكثير من التسلية، فيما يكتب جماعة الزيت والغاز خصوصاً استخدامهم لمصطلحات لا يفهمونها. لكن مفهوم «المثقف السنني» هذا هو أغرب تقليعات الصحافة النفطية الأخيرة.

حسناً، ماذا يعني أن تكون مثقفاً سننياً؟ هل تعني أنك تقرّ السنة النبوية مثلاً أو أنك على معرفة بها وتستشهد بها في كتاباتك؟ يفعل كل المسلمون ذلك، وحتى إن العديد من أهلنا المسيحيين العرب يقتبسون السنة باستمرار كما يقتبسها المسلمون. هل تعني أنه يفكر ويتخيل ويروي بلغة سنية مثلاً لا نعرف عنها وعن وجودها؟ فالمصطلح يفترض، كما يبدو، أن التسنن هوية وخيال وسردية ولغة وطريقة تفكير، وليس طريقة في التقرب إلى الله. لكن من يهتم لخرافات الراشد هذا، فما يهم هو الفكرة في النهاية. كان يمكن أن يمر المرء على هذا المصطلح مرور الكرام، كما يمر على الكثير من «الهبيل» الذي نقرأه كل يوم. لكن

ربما كان سيقود، لو تم له ما أراد، إلى انقراط وانفجار المشرق العربي كله، وهو ما يذكر بما كتبه دانتي عن القوادين والخونة - مع أن وصف القوادين والخونة قد يبدو قاصراً بحق عن التعبير والإمسك بمدى قذارة الدور الذي يلعبه بعض صهاينة الثقافة العربية الجدد. لا ولن ينظلي على أحد أن الموقف من النظام ومعاداته، وهو أمر مشروع تماماً، يمكن أن يبرر تأييد العدوان الغربي. لكن بعض المثقفين العرب لم يكتفوا حتى بذلك، بل كانوا رأس حربية الحملة لتكريخ الرأي العام في الوطن العربي وأميركا والعالم على تأييد العدوان. كتبوا في الصحف الأميركية وظهروا على الشاشات وناشدوا ذلك الرجل الأسود بالقناع الأبيض

## مفهوم «المثقف السنني» هذا هو أغرب تقليعات الصحافة النفطية الأخيرة

## المصطلحات المذهبية أصبحت جزءاً من الرطانة اليومية لبعض المثقفين العرب

لحرق دمشق. لم يتعضوا من همجية تدمير العراق الذي يحمل بعض وزره أيضاً مثقفون عرب (هل تذكر رون كنعان مكية وفؤاد عجمي؟). وحين كانت أسراب من طائرات وسفن الشر الاستعمارية تتأهب لقتل حمم نيرانها على عاصمة المشرق العربي، فاجأنا بعض ممتهني الثقافة من بني جلدتنا بمواقف كانت شعوب أخرى ستضربهم عليها بالأحذية في الساحات العامة (حتى لا نقول أكثر). شاركوا جميعاً في الحملة التي ربما تكون الأولى في التاريخ التي يشكل فيها المثقفون رأس حربية الدعوة إلى استعمار وطنهم. كتبوا في «نيويورك تايمز» (ياسين الحاج صالح) وظهروا على الشاشات (برهان غليون). حتى فؤاد السنيورة كتب في «فورين بوليسي»، وكان صعباً تمييز ما يقوله عما كتبه الفؤاد الآخر، ذلك العربي الكاره لنفسه وقومه، فؤاد عجمي، الذي لم يطب له حتى قيام أوباما بالمناورة والسعي لتحصيل الثمن السياسي بدون العدوان ودعاه إلى الجدية في

والدائرة التاسعة والأخيرة والأشدّ عذاباً من الجحيم هي دائرة الخونة بامتياز، ففي الحلقة الثانية من هذه الدائرة يقبع انتينور الطرودي الذي خان أهله وتآمر مع اليونان وفتح للأعداء باب المدينة المحصنة، ويعذب معه هناك أيضاً الشقي أوغولينو الذي خان مدينته بيزا بتسليم قلاعها لعدوتها فلورنسا - ربما لهذا السبب سميت هذه الحلقة «انتينورا» باسم اللعين الطرودي (انظر الجحيم، النشيد الثامن عشر). اللافت أن «الجحيم» حيث يقبع القوادين والخونة في دائرتيه السفليتين يظل النشيد «الأشهر والأكثر أثرة» بين الأناشيد الثلاثة رغم تمتع كل من النشيديين الآخرين، «المطهر» و«الفرديوس»، بخصوصية «الافتة» وينطوي على عناصر ابتكارية وتجديدية وناقدية، كما يشير الشاعر كاظم جهاد. ومرد ذلك، أيضاً كما يشير جهاد، «أت من طبيعة حاجات قارئ القرون الأخيرة». لكن يمكننا القول، أيضاً، إنه في حالة مجتمعاتنا (ومجتمعات «ما بعد الاستعمار» عموماً، وهي تسمى كذلك لأنها لم تقطع فعلاً وأصلاً مع العلاقات الاستعمارية قط برغم خروج جنود الاستعمار) أن سبباً آخر هو الاتجاه المأسوي لمسارات التحرر، وتحول أحلام ما قبل التحرر من الاستعمار إلى كوابيس ما بعد الاستعمار على أيدي طبقة قذرة رهنهت نفسها ثقافياً واقتصادياً وسياسياً في خدمة جرم جنود مستعمري الأمس وبمساعدة صف حقيرو وضيع من المثقفين الخونة الذين يلوثون عقول وأجساد أممهم.

لكن كاتشانيميكو الذي استخدم جسد شقيقته للمتاجرة الرخيصة به، ورغم كل سفالته ووقاحته ووضاعته، ربما كان سيخجل بشدة من أفعال وأقوال بعض القوادين العرب الكبار ممن يصنفون أنفسهم مثقفين ومفكرين (حتى إنه خجل من دانتي حين رآه في الجحيم وحاول إخفاء وجهه عنه، لكن دانتي عرفه وأشار إليه باسمه الحقيقي كما ستشير كتب التاريخ إلى أسماء الخونة العرب بالاسم في المستقبل). فهؤلاء لا يتاجرون بكل نساء العرب وأطفالهم ورجالهم، بل يتاجرون بمستقبل الأمة كلها. وفوق ذلك، لديهم من الوقاحة ما يكفي أن يخرجوا علينا من على شاشات وصفحات النقط والغاز للتنظير عن الثورة والديموقراطية - هل يصح أصلاً حتى أن نتحدث عن وقاحة القوادين والخونة، أم أن توصيفهم أصلاً يفترض وحتى يتجاوز ذلك؟ تهللون لإحراق دمشق وإعادة استعمار المنطقة، وباسم الحرية والديموقراطية؟ كان أشهر أسفل القوادين في التاريخ سيعجز عن تصور أفعالكم.

#### خيانة سوريا

أداء بعض المثقفين العرب وتآمرهم مع عدوان